



زينب بنت إسحاق النفزاوية قصة عشق لصوت نسائي ملك قلوب أمراء

الدولة المرابطية وصنع مدينة مراكش في الدراما التلفزيونية

د. عزيز زروقي

باحث في المسرح والسينما والدراما التلفزيونية

المغرب

-مدخل:

يعتبر تاريخ العشق الطويل أعمق تجربة ميتافيزيقية عرفها الإنسان، وعاش بعضها في تاريخه حكايات خالدة مازالت تروى عبر الأمم، ساهمت في تخليدها بشكل خاص القصائد والمسرحيات وغيرها من النصوص العابرة للزمن. كان العشق الدافع للكثير من الإبداعات الفنية الكبرى، وفيه تجلت خصال إنسانية عميقة، احتار في تشخيصها الشعراء والأدباء والفنانون والفلاسفة والعلماء، وباتت دوافعه وبواعثه مادة إنسانية تحفز أعلام الكتاب والفلاسفة والباحثين متخذين تصورات ثقافية متباينة عنه، فعبّر كل منهم عنها بطريقته، ومن زاويته التي يراها.

تغنى شعراء العشق بقصائدهم، وكتب عنه الأدباء بأفئدتهم قصص وروايات وملاحم، ورسمه الفنانون بريشتهم حتى لونوه بألوانهم، وتأمله الفلاسفة بعقلهم، وبحثه العلماء بأدواتهم. فلم يحظ بوصفه أحد، ولم يصبه كل الإصابة. فلا الشعراء ولا الأدباء ولا الفنانون قضوا، ولا الفلاسفة ولا العلماء قطعوا. وفيه كتبت أشعار؛ فكانت أسطورة (أورفيوس) Orpheus في الأدب اليوناني القديم، وأسطورة (موزين) Mem et zin ، و (روميو) Romeo، و (جوليت) Juliet. أما في التراث العربي فلقد خلدت قصص العشق في الشعر، فلم يكن فن الرواية معروفا قديما، ومن أشهر قصص العشق فيه؛ حكاية قيس بن الملوح وحبيته ليلى العامرية، و "مجنون ليلى" و "ألف ليلة وليلة" وغيرهم من روائع أدبية خلدت مفهوم العشق وأحداثه في وجداننا.

كان العشق يفهم على أنه تضحية بالنفس، مما يعني ضمنا اعتباره علاقة متناغمة ورحيمة وحنونة وخيرة بين الناس، بدلا من المشاعر الرومانسية والانجذاب الجنسي، واستخدمت كلمة الصداقة كمرادف لغوي للعشق. اكتسب العشق معنى العاطفة والجاذبية الجنسية بالإضافة إلى معنى اللطف تجاه الشخص، والولع والحنان والمودة والصداقة وكذلك عاطفة العطاء. وفي عصر (وليام شكسبير) William Shakespeare ، وُصف العشق بأنه شغف مهلك، أو مرض عضال، أو قوة جبارة يستحيل مقاومتها. وفي العصر (الفيكتوري) victorienne، كان العشق الرومانسي يعتبر شعورا روحيا حساسا نقيض الشهوة الحيوانية الخالصة، وتطور مفهومه الخالص في أجزاء كثيرة من غرب أوروبا وشمالها.

على الرغم من التباين في وجهات النظر يبقى العشق الرومانسي عالميا، ومع ذلك لا يمكننا استنتاج أن كل شخص يقع فيه بالقدر نفسه والطريقة ذاتها، بسبب تأثير الثقافة العميقة على تعريف الناس للعشق الرومانسي وعلى الطريقة التي يفكرون فيها ويشعرون بها ويسلكونها. فالوقوع في العشق يعتمد بشكل كبير على التنظيم الاجتماعي للثقافة، والمجتمعات التي ترفض العشق الرومانسي على سبيل المثال، يكون الوقوع فيه فيها أقل.

يبقى العشق محكوم بالثقافة والأفكار والشخصية، وجميعها مشروطة بالنظام الاقتصادي الاجتماعي، والأفكار والشخصية، فإننا نجد اختلافات وتباينات في طبيعته وطرق التعبير عنه. قد تؤثر فيه القيم الثقافية والسلوكيات التقليدية على تجربته وتحولها من مجرد انجذاب إلى علاقة متكاملة الأركان؛ مما يعني هيمنة المنظور الثقافي في فهم اختيار الشريك. ليس هذا فحسب، فالثقافة تؤثر على كيفية ربط الناس بين العشق العاطفي والرغبة الجنسية، إذ يتم تعليم الرجال الفصل بين الجنس والعشق، في حين يتعلم العديد من النساء الربط بين الاثنين. هذه الازدواجية في تعليم مفاهيم العشق تتسبب بالكثير من التوتر في فهم العلاقة العاطفية وطبيعتها.



لا يستقيم الحديث عن المجتمع الأندلسي من غير الوقوف عند المرأة كمكون أساسي من مكوناته، إلا أن أخبارها ظلت نادرة في المصادر والمتون، ولم يتم التطرق إليها سوى بشكل عرضي، مما يجعل من الصعب التعرف على مكانتها الاجتماعية والإلمام بجميع الأدوار التي اضطلعت بها في مختلف المجالات. لا يخفى على عموم الباحثين في تاريخ الأندلس وحضارته أن موضوع المرأة الأندلسية لم يحظ للأسف الشديد، بالاهتمام الأكاديمي الرصين سوى في السنوات العشرين الأخيرة من القرن الماضي، ويعود السبب بالدرجة الأولى إلى قلة الإشارات حول المرأة في المتون المعتمدة بشكل مستفيض، وإغفال الكتاب الأندلسيين إدراج اسمها ضمن صناعات المجد الأندلسي. ولم يكن هذا الصنيع مبعثه الاستخفاف بمكانتها وسمو قدرها، بل لأن العادة وفق العقلية السائدة، كانت تقتضي التكتّم على أمورها، وعدم البوح بإنجازاتها.

أكدت ثلة من الباحثين أن النساء اللواتي وردت أسماءهن في المصادر التاريخية، لم تكن لتصلنا أخبارهن لولا اقتران وجودهن بشخصيات رجولية صرف. فثمة أكثر من قصة وأزيد من رواية عن زوجة يوسف بن تاشفين، أو وزيرات من عيار؛ خناتة بنت بكار، أو قائدات كحاكمة تطوان، أو وصيات كصبح، أو وسيطات من أمثال: للا عزيزة السكساوية، أو محاربات كشمس الزاوية، أو مستشارات؛ ككنزة، أو سفيرات في بلدان أوروبية أو شرق أوسطية، كسحابة الرحمانية، أو مرجمات لمنشآت عمومية كبرى، كعودة الوزكيطية، أو شاعرات البلاط، وهذا حال حفصة الركونية، أو متآمرات طاغيات كزيدانة، أو بطلات، بصمت أسماءهن نضالات الفلاحين ضد السلطة المركزية، كخربوشة، أو فدائيات كافحن ضد المستعمر كتاوكارت، فيما تحضر أسماء مؤسسات الدولة الحديثة من عيار مليكة الفاسي، واللائحة طويلة في هذا الصدد.

مما ينبغي تسجيله في هذا الصدد، أن الفترات الأندلسية من الفتح إلى سقوط غرناطة لا تزال بكارا في هذا المجال، وتحتاج إلى المزيد من البحث والتنقيب. وسوف أحاول فيما سيأتي رسم صورة تقريبية لواقع العشق عند المرأة المغربية خلال العصر الوسيط. ونفض الغبار عن نساء نسيهن أو بالأحرى تناسهن التاريخ الرسمي، والإبحار في أسماء سياسيات خرس التاريخ عن ذكرهن كذلك، بعيدا عن الأحزمة الذهبية المرصعة بالأحجار الكريمة لزوجات الملوك أو مستشارات السلاطين أو السلطانات. جرت العادة على أن يتم التركيز على جمال النساء، وتسليط الضوء على زينتهن والأقراط والعقود التي تزين أعناقهن، لكن ثمة ذكاء ودهاء سياسيين تميزت به بعضهن، لا يقل عن الذكاء والدهاء السياسي للملوك والأمراء والحاكمين عموما.

لعل بعض المغاربة اكتشفوا الزعيمة الأمازيغية كاهنة بفضل جهود النشطاء الأمازيغ، لكن كم منا يعرف تينهان، زعيمة قبائل الطوارق؟ وهل يعرف هذا الجيل كنزة المرصية، خادمة إدريس الأول، التي بفضلها لم يتمكن الخليفة العباسي هارون الرشيد من القضاء على الأدارسة؟ وهل أنصف التاريخ المغربي زينب النفزاوية، زوجة يوسف بن تاشفين، والملكة الحقيقية للدولة المرابطية؟ والقائدة شمسي الزاوية في مرحلة تدهور المرينيين؟ والسيدة الحرة حاكمة تطوان؟ والأميرة السعدية مسعودة الوزكيطية؟ أو السلطانتين؛ زيدانة وخناتة بنت بكار، وكلتاها كانتا زوجتي المولى إسماعيل؟ ومن يعرف السفيرة الضاوية التي سطع نجمها في القرن الثامن عشر؟ وقائدات الثورات؛ أمثال: رقية بنت حديدو وخربوشة المسفيوية....

يصعب علي إدراج كل الأسماء الشخصيات النسائية التاريخية المغربية المتحركات اللواتي حلقت بعيدا خلف أسوار البلاط عبر مراسلاتهن الدبلوماسية، رغم أن معظمهن ظل حبيس أسوار البلاط. والأخريات محتجزات في شققهن لا يغادرنها إلا مرة كل سنة بمناسبة ذكرى المولد النبوي لأداء الصلاة. أو إزاء نساء؛ حكمن تحت مظلة المشروعية، وهذا حال تينهان، والكاهنة... وسواء حكمن بصفة شرعية أو عبر رجل، فمن الواضح أن السياسيات عانين المصير نفسه، حيث دخلن غياهب الصمت وحكم عليهن التاريخ الرسمي بالإعدام السياسي. أو إزاء نساء حكمن دون أن تكون لديهن المشروعية لفعل ذلك، ولهذا مارسن الحكم من خلال رجل.



حاولت ذكر بعضهن فاقصرت على زينب النفزاوية، المستشارة السياسية، التي حكمت من خلال يوسف بن تاشفين وكل الذين حكموا الدولة المرابطية في عهدها... لأحرك مستنقع النسيان الذي طواه الزمن، وتجاهل سلالة الأم لبعض من دخلن التاريخ بطريقة أو بأخرى، فقط من أجل ضمان استمرار النظام الأبوي من خلال إنجابهن ابنا ذكرا، مؤكدا أن مساهمة المرأة في الفعل السياسي لم تكن استثناء، موضحا أنه سيكون من الخطأ النظر إلى هذه المساهمة السياسية كمؤشر على تحرير المرأة مطلقا. تظل المرأة داخله تحت سيطرة وطاعة الرجل، وبالتالي يبقى الرجل هو من يحدد هويتها، فهي؛ إما أمه أو زوجته، أو أخته أو ابنته، أو أحد أقربائه، أو عشيقته؛ لذا اخترت العشق على أن يكون موضوعا للاشتغال في هذا المقال المتواضع الذي حمل عنوان: "زينب بنت إسحاق النفزاوية قصة عشق لصوت نسائي ملك قلوب أمراء الدولة المرابطية وصنع مدينة مراكش في الدراما التلفزيونية".

مسلسل "ملوك الطوائف". تأليف السيناريست ولید سيف وإخراج المخرج حاتم علي، وتحسيد من طرف شخصيات نجوم كبار سوريين ومغاربة. لا يمكن أن يأخذ حقه من المشاهدة بمرة واحدة. عمل تلفزيوني يستحق المشاهدة أكثر من مرة، لما فيه من عمق وثراء وغنى وتفصيل كثيرة يصعب متابعتها بدقة في الجو التلفزيوني الصاخب. فهو ليس مجرد عمل درامي في تاريخي تغني بأعجاف الماضي فقط، بل تجاوز هذه المهمة ليلا مس الجذور التاريخية للكثير من القضايا التي مازلنا نتخبط فيها؛ كأمازيغ وعرب إلى حد الآن. هو توثيق درامي لمرحلة تاريخية مهمة في تاريخ أمتنا، ومما يزيد من أهميته أنه سلط الضوء على حقبة مهمة في مشروع متكامل هو: الأمازيغ والعرب المسلمون في الأندلس.

مسلسل لعمل تاريخي معاصر بامتياز لنص رائع جدا، ولمعالجة درامية أروع ولوقت قريب. إيجابياته أكثر من أن تحصر، وسلبياته القليلة تغمر في بحر إيجابياته الكثيرة. شكل هذ العمل الدرامي عملا متكاملا من حيث النص والإخراج والتمثيل إلى العناصر الفنية الأخرى، والتي جعلت من العمل عملا دراميا حقيقيا مفيدا ممتعا فتح آفاق جديدة لحوارات حول عدد من القضايا. لكل القائمين على العمل كل الشكر والتقدير، وإلى مزيد من الابداع والمتعة والفائدة للمتلقي المتعطش لمثل هذه الأعمال الدرامية التي تفيد في صنع الحكمة، أو إثراء الحدث، أو إذكاء الصراع من أجل خلق حالة من الإثارة التي تشد انتباهه، وتعلي من نسبة المشاهدة.

برع المخرج حاتم علي في رسم صورة تلفزيونية درامية ممتعة ومبهرة من خلال صناعته لمسلسل، لأشهر نساء شمال أفريقيا خلال العصر الوسيط، وكان رهان المخرج من خلال هذا العمل رد الاعتبار للمرأة المغربية في العالم الإسلامي، وإبراز دورها الكبير في تطور وبناء المجتمعات، وهو ما تأتي له من خلال سيناريو محكم للسيناريست ولید سيف، وقصة درامية ممتعة جمعت نخبة من أشهر الممثلين والممثلات المغاربة والسوريين.

-المبحث الأول: زينب بنت إسحاق النفزاوية قصة عشق لصوت نسائي ملك قلوب أمراء الدولة المرابطية وصنع مدينة مراكش في الدراما التلفزيونية

-مشهد في حوار: الأمير لقوط بن يوسف صاحب تادلا وزوجته زينب في البيت وخدمه، يستعد مغادرة أغمات بعد الهجوم عليها من طرف المرابطين¹

-لقوط بن يوسف: يا زينب، يا زينب، اجمعي متاعك من فورك. -زينب: لأي شيء. -ابن يوسف: أيها الخادم أعد الركائب، واحمل عليها المتاع، وأنذر خدمنا وعبيدنا أننا خارجون من الساعة. -زينب: نغادر أغمات، هل سلمتم؟ -لقوط بن يوسف: لا أسلم، ولو قطعت إربا، إربا. -زينب: فقد دخلوها عنوة. -لقوط بن يوسف: يوشكون. -زينب: وما زال أصحابك يقاتلون عنها. -لقوط بن يوسف: لا وقت للسؤال، قلت لك هبيء نفسك الآن، قبل فوات الوقت. -زينب: كيف تفعل هذا، تترك أصحابك يقاتلون عنها قتال اليائس، وأنت الأمير تغافلهم وتخرج بأهلك في جوف الليل. أين المروءة؟ أين عهد الأمير وذمته؟ كيف تذهب بوجهك بعد هذا؟ -ابن يوسف: لا تجادلي يا



امرأة. -زينب: بل أفعل. المنية ولا الدنية، ولا أرى دنية كهذه، فإن عجزت فصالح القوم أما هذه فعار الأبد، تأخذ عنهم المغارم والمكوس في حال السلم، ثم تفر عنهم في حال الحرب. -لقوط بن يوسف: ليس قرارا بل انحاز إلى أحلافنا بني إيفرن في تاولا، حتى نعود فنكر عليهم ونخرجهم من بلدنا، أهذا خير من الإذعان أو الموت؟ والآن هيا تعجلي. -زينب: إن كان لا بد من ذلك فاخرج وحدك دُوني. -ابن يوسف: تمضين معي طوعا أو كرها².

-مشاهد استعداد مغادرة الأمير لقوط بن يوسف صاحب تادلا، وزوجته زينب وخدمه أغمات بعد الهجوم عليها من طرف المرابطين³



-مشهد في حوار: جيوش المرابطين راجعة من فتح تادلا، يستقبلهم الإمام، والأمير أبو بكر بن عمر، تناظرهم زينب النفزاوية⁴

-قائد الجيش: بشراك يا سيدي، فتح الله علينا تادلا ودخلت في دعوتنا. (الجميع الحمد لله). -أبو بكر بن عمر: وما فعل لقوط بن يوسف، فقد فر من هنا إلى هناك؟ -القائد: قتل يا سيدي. -الجميع: الحمد لله. -زينب النفزاوية: الحمد لله على كل حال، ولكن تفرح بمقتل رجل مات على ضلالتة، فانقطعت بموته الآمال من توبته وصلاحه. قضية أم هداة؟ (تنزل زينب النفزاوية من على ناقتها) -أبو بكر: من المرأة؟ -القائد: زينب النفزاوية زوج لقوط بن يوسف. -أبو بكر: قد دعونا فأبي ثم قضى الله فيه. -الإمام: ألا تخفين وجهك يا امرأة؟



-زينب: لست من أصحابك المثلثين ونساؤهم تكشف دون رجالهم. -الإمام: ومع ذلك. -زينب: أهو أمر مفروض؟ فإني لا أرى نساء أغمات قد تحجن وجوههن بعد تمكنكم. -الإمام: ليس مفروضا في مذهبي. -زينب: فلما تدعوني إلى ما لم تدعو به غيري. -الإمام: ليست النساء سواء. -زينب: فيما؟ -الإمام: آه ما أكثر جدالك يا امرأة. -زينب: استفتي الفقيه في الدين فيسميه جدالا، أليس في القرآن الكريم سورة المجادلة؟ (قد سمع الله قول التي تجادل في زوجها) الله، الله أيها الفقيه؛ سمع قول المجادلة وأجابها بقرآن تتعبد به أفلا تجيبوني أنت؟ -الإمام: ليست النساء سواء فيما أعطاهن الله، فما كان لها مثل؛ أعني تعلمين ما أعني فيجب أن تستر وجهها درء للفتنة. -زينب: ولما لا يغض الرجال أبصارهم، وكفى. -الإمام: وكيف يغضون أبصارهم وأنت تحدثينهم، لقد قلت قولي، فما الذي أقدمك علينا وقد قتل زوجك. -زينب: هذه بلدي وما كنت لأخرج لولا أنه أرغمني. -الإمام: هل كنت تتخلفين عنه، وقد كان زوجك؟ -زينب النفزاوية: أتخلف عن الباطل وأمكث في الحق. -الإمام: إذن فلم تكوني على رأيه ومذهبه؟ -زينب: أنا امرأة قارئة، وأميز الحق من الباطل ولي رأي في نفسي، ولا أطيع مخلوقا في معصية الخالق، ولو كان زوجي. -الإمام: لا ضغينة، إذن. -زينب: لا آسى على ما فات، ولا أفرح بما هو آت. -الإمام: تا الله إنك امرأة ذات عقل. -زينب: هل تباع النساء، كما تباع الرجال، أيها الفقيه؟ -الإمام: كما تباع أزواجهن وهن تبع لهن. -زينب: ولكن الله قد جعل لهن ذمة مستقلة، فإذا كان يوم القيامة حوسبت الواحدة منهن فردا لا جماعة مع زوجها وولدها. -الإمام: صدقت. - زينب النفزاوية: ومن يبلغ المرأة ويأخذ منها العهد إن لم يكن لها زوج؟ -الإمام: قد بلغت حجتك؟ -زينب: إذن، أبايعك على السمع والطاعة، وفي المنشط والمكره. -الإمام: أما السمع والطاعة فنعيم، وأما المنشط والمكره فهما من شأن الرجال الذين يشتغلون بأعمال ولي الأمر، ولكن رضيينا منك. (يتشاور الإمام مع أبي بكر اللمتوني حول قبول الزواج من زينب النفزاوية)، أيتها المرأة؛ امرأة في مثل عقلك وحسنك لا ينبغي أن تكون بلا زوج. -زينب النفزاوية: ألسنت ولي الأمر؟ -الإمام: وهذا أمير الجماعة أبو بكر بن عمر اللمتوني قد ماتت له زوجة، ولا أرى لك كفؤا مثله. فماذا ترين؟ (يزيل أبو بكر اللمتوني اللثام عن وجهه) تحمق في النفزاوية. -زينب النفزاوية: ألسنت ولي الأمر؟ -الإمام: تستأمر المرأة في مثل حالك. -زينب النفزاوية: الجمل ومن عليه الله ورسوله ولي والرأي لولي الأمر⁵.

-مشاهد جيوش المرابطين راجعة من فتح تادلا، يستقبلهم الإمام، والأمير أبو بكر بن عمر، تناظرهم زينب النفزاوية⁶









- مشهد في حوار أبو بكر والملثمون في أرض مستوية بينون مدينة مراكش⁷

-أبو بكر: هذا موقع حسن فلو اختططنا مدينة تكون عاصمة لنا وتخرج منها جيوشنا لكان أمرا حسنا. ما تقولون؟ -يوسف: لا بأس به.
-أبو بكر: هل تعرفون اسما له؟ -يوسف: يسمونه مراكش بلسانهم. -أبو بكر: وما معناه؟ -يوسف: امش مسرعا. -أبو بكر: قهقهات
لما ذاك؟ -يوسف بن تاشفين: كان موثلا للصوم وقطاع الطرق. -أبو بكر: نجعله إن شاء الله موثلا للعلم ورباطا للجهاد⁸.



–مشاهد أبو بكر والملثمون يخططون في بناء مدينة مراكش⁹



–مشهد في حوار وصول مرسل من الصحراء يخبر أبا بكر بالفتنة التي قامت في الصحراء¹⁰

–أحد الرسل: سيدي أدرك الناس يا سيدي، فقد اختلف أمرهم ووقعت الفتنة بين القبائل¹¹

–مشاهد وصول مرسل من الصحراء يخبر أبا بكر بالفتنة التي قامت في الصحراء¹²



–مشهد في حوار: داخل أحد المنازل في المغرب، يجتمع أبو بكر ويوسف بن تاشفين، والملثمين¹³

-يوسف: ترجع بنفسك إلى الصحراء وتترك المغرب، ولم نفرغ من فتحها. -أبو بكر: هذا أمر جليل، فقد علمتم أن الصحراء هي مبتدئ أمرنا، فإذا لم يصح الأصل لم تصح الفروة، وإني والله لأخشى افتراق الكلمة وانقطاع الصلة. -يوسف: ولكن قد صرنا هنا بعيدين عن الصحراء فإذا مضيت إليها ومن معك، فقد انقطعت بنا الصلة حتى نعود، فكيف نعمل في غيابك وأنت الإمام والأمير. -أبو بكر: نقسم جيشنا قسمين، فإخرج بقسم إلى الصحراء ويبقى الآخر لمواصلة الجهاد في المغرب الأقصى وأنيب عني في المغرب ابن عمي يوسف بن تاشفين، هذا إذا رضيتم به فقد خبرتموه في فتح بلاد المصامدة وبلاد السوس فكان خير قائد¹⁴.

-مشاهد اجتماع أبي بكر ويوسف بن تاشفين، والملثمين بالمغرب¹⁵



-مشهد في حوار: أبو بكر مع زوجه النفزاوية وهو يطلقها¹⁶

-زينب النفزاوية: الصحراء، وتسحب معك نصف الجيش إذن غياب طويل. -أبو بكر: قد لا أعود منه قد عزمتم على ضبط الصحراء من أذناها إلى أقصاها، وهي بلاد واسعة، ثم أقصد إلى بلاد السودان وغانا. -النفزاوية: والمغرب؟ -أبو بكر: أليت عليها ابن عمي يوسف بن تاشفين يحكمها، ويستأنف الجهاد فيها حتى تدخل جميعها في دولة المرابطين. -النفزاوية: وأنا كيف أصحبك في الجيش، وكيف أنتقل معك، ومعه عبر الصحراء وغانا وحتى بلاد السودان؟ -أبو بكر: أنصتي يا زينب، إني سائر إلى الصحراء وأنت امرأة لا قبل لك بخشونة الصحراء وشمسها، وإن خلفتك ورائي هنا حتى أعود فقد ظلمتك، واحتملت بك إثما عظيما، وأنت بعد امرأة شابة، أعني لا أستطيع أن أمشي عنك وأنت في عصمتي والرأي أن أطلقك. -زينب: ماذا؟ -أبو بكر: هو ذاك. -زينب: كأنك طلقتي وتتذرع برحيلك. -أبو بكر: لا والله الذي جمع بيننا، ولكني لا أجد وجها آخر على أنه لا يصح أن تمكثي وحدك، وليس لك محرم يسعى عليك. -زينب: كأنك لا تطلقني إلا لتزوجني غيرك. -أبو بكر: إن كان الله قد قضى بيننا بالفراق وكان لا بد من زوج فعاجله خير من آجله. -زينب: بقي إذن أن تختار لي قبل رحيلك. -أبو بكر: وقد اخترت ابن عمي ونائي يوسف بن تاشفين، نعم الرجل، هو أهل لك. -زينب: أهذا أمر الإمام، ولي الأمر. سمعنا وأطاعنا. -أبو بكر: ما زلت أرى منك كل يوم جديدا. -زينب: تريدني أن ألطم خدودي، وأندب وأولول في أمر أنت اخترته وقضيت فيه، وإن كنت لك كما أنت لي، فلماذا لا أراك تفعل ما تتوقعه مني؟ إني وإياك على الوطاء نفسه لا تفارقني حتى أفارقك، ألم أقل لشيخكم رحمه الله، في ذلك اليوم؛ "لا آسى على ما فات وأفرح بما هو آت"، فأنا امرأة حرة ذات رأي، وقد شهدت مقاتل الرجال وتقلب الأحوال في الأمور العظيمة، حتى عهدت على نفسي أن أقبل علي. يقبل عليه وأدير على ما يدبر عني ورأيت صبر الرجال على ما تدل له



النساء، تطلقون ولا نطلق، وإذا فارقوا لم يأبھوا، ولم ينظروا وراءهم، وإذا فرقنا قتلنا أنفسنا بالحسرات، فأخذت على نفسي أن أكون كفءهم يسعني ما يسعهم، وقد استويننا عند الله في التكاليف والمآل، فنستوي الذمم والأحوال فمن سواك في نفسه فما ظلمك¹⁷؟

-مشهد أبو بكر مع زوجه النفزاوية وهو يطلقها¹⁸



-مشهد في حوار: من مراکش يوسف بن تاشفين مع المرابطين يقسمهم للجهاد¹⁹

-يوسف بن تاشفين: يا معشر المرابطين، قد بقي معنا 40 ألف مجاهد، وقد رأيت أن أقسمهم إلى أقسام، وأعقد راية الواحد منها إلى أمير منكم، فينطلق إلى ناحية وينطلق غيره إلى ناحية أخرى، وأخض أنا بالبقية إلى غيرها، وبذلك نوفر الوقت ونوسع النطاق. -أحد القادة: بلى، ولكن ألا يبدد ذلك كثرتنا. -يوسف: مثل ما يبدد تكاثر العدو علينا، فإن قبائل مغراوة وزناتة، وبني يفرن قد تعاهدت على النصر ضدنا بعدما كان ما بينهم من الحروب والخصومات، وقد توزعت قواعدهم وإمارتهم على بلاد المغرب كلها، فإذا توزعنا عليها، انشغل كل أمير منهم بنفسه وكان في العدد كأعداد الفريق الواحد منا، ونحن بعد أشد بأسا في قتال بعد الذي جربناه واختبرناه وهم بعد لا يرجون من الله ما نرجو، وقد اختلفت عليهم قلوب رعاياهم²⁰.

--مشاهد يوسف بن تاشفين مع المرابطين يقسمهم للجهاد²¹



-مشهد في حوار: يودع يوسف زوجته زينب النفزاوية²²

-يوسف بن تاشفين: ألا تودعين صاحبك؟ -زينب النفزاوية: أوا قد آن الأوان؟²³

-مشاهد توديع يوسف زوجته زينب النفزاوية²⁴



-مشهد في حوار: يوسف بن تاشفين مع زوجته زينب النفزاوية يخططان كيفية التخلص من أبي بكر بن عمر العائد من الصحراء²⁵

-زينب: قد أهلك شيء. -يوسف: ليس هما، وهل يكون لقاء الإخوان هما، بل هو عيد. -زينب: أي إخوان؟ -يوسف: أبا بكر بن عمر عائد من الصحراء. -زينب: أبا بكر بن عمر عائد من الصحراء؟ -يوسف: على بعد فراسخ من مراکش، ما يلبث أن يصل. -زينب: بعد كل هذه السنين في أقصى الصحراء وبلاد السودان، حسبت ألا تكون له عودة، ما أنت فاعل؟ -يوسف: نؤدي الأمانة إلى أهلها. - زينب: ماذا تنزل عليه، عن إمارة المغرب، بعد أن ملكتها. -يوسف: لم أكن صاحبها لأنزل عليها، بل فوضني إليها في غيبته، وهو ما يزال أميرنا وصاحب الولاية. -زينب: بعد كل هذه السنين، 11 سنة، وقد خلفك ودولة المرابطين في أولها، بلاد السوس والمصامدة وأغمات، والآن وقد عمت بلاد المغرب كله، فاس، مكناس، من وجدة حتى طنجة، ومن الصحراء حتى البحر، ولم يبق منها سوى طنجة وسبتة، وبنيت مراکش، ودبرت أمور البلاد وأصلحت أحوالها، وكل ذلك من عملك وتدبيرك. وما عرف الناس لهم أميراً غيرك في هذه الأعوام ثم تقول فوضني بالنيابة عنه، وهو الأمير مثل هذا يكون لغيبته شهر، بضعة شهور، ولكن 11 عاما في أي سنة، من سنن السلطان يكون هذا. -يوسف: يكون في سنة من لم يطلب بعمله السلطان، وإنما أراد به وجه الله تعالى، وأما أبو بكر فلم يمحض تلك الأعوام في الصحراء في الصيد ورعي الجمال، أصلح ما أفسدته الخصومة بين القبائل، ثم خرج بهم إلى بلاد السودان حتى فتحها ودخلها في طاعته، وهو ابن عمي والآن يعود فهل أقول له أنا صاحب البلاد، وذلك بعد أن فتحها الله علي، وأنت يا زينب فقد كنت يوما في عصمته. -زينب: وما زلت منذ فارقت وفارقت في عصمتك أم تراني من الأمانة التي تؤديها إلى أهلها. -يوسف: لا تقولي هذا يا امرأة. -زينب: اسمع، يا سيدي ناشدتك الله، إلا أجيب ما الذي شهدته مني في هذه الأعوام؟ -يوسف: اللهم لم أشهد إلا خيرا العقل والدين. -زينب: إذن، أنصت إلي وتعن في قلبي، ليس الأمر بينك وبينه، وما هي دنيا تغالبه عليه أو يغالبك، ولكنه صالح المسلمين ودولتهم، وإن كنت تتوهم أنك تقدم الأمر العام على الخاص وتؤثرها



على نفسك حين تنزل على الإمارة فأعد النظر، فالضد هو الصواب إذ أنك بذلك إنما تفرط بصالح الأمة، لترفع عن نفسك التهمة أو لتدفع عن نفسك الحرج، نعم لا أشهد عليه إلا بالتقوى والصلاح، ولكن التقوى وحدها لا تجعل من الرجل أميرا بارعا عظيما وقد جعل الله تعالى الأمور منوطة بأسبابها، وقد أعطاك من أسباب الإمارة والتدبير ما لم يعطه مثله. وإلا كيف صارت المغرب كلها أو جلها بيدك ما دمت توليت، فكنت تنجز في عام ما لم ينجزه من كان قبلك في أعوام وهؤلاء الناس الذين دخلوا في دولة المرابطين بعد توليتك، وعملك وهم الكثرة الكثيرة لم يعرفوا غيرك أميرا لهم، يدينون لك بالولاء والطاعة، يتقون بقدرتك ويعتصمون برأيك، فإن أنت الآن نزلت بها لأبي بكر ثم رأوا منه غير الذي عهدوا منك ولسوف يفعلون، فإنهم ينصرفون عنه، وربما خرجوا من الطاعة لقرب عهدهم بسابق أحوالهم، فعادوا بالمغرب سيرتها الأولى. فهل هذا ما تريد فقط؟ ليقال فيك زهد بالإمارة. ألا تخشى أن يخرج من هذا الزهد إلى حد الرياء هل تتحمل إثمها عند الله. -يوسف: هب أن ما قلتيه حق. -زينب: بلى والله إنه لحق، وأنت تعرفه، فلا تكابر. -يوسف: فكيف عساي أصنع، أقول له ارجع إلى ما كنت فيه خلعنا طاعتك. -زينب: لا تحتاج إلى هذا، إنه رجل نبيه يفهم بالإشارة. -يوسف: فإن فهمها ثم أبي، فهل تحتلف قلوبنا وتتنازع على الأمر. - زينب: لا يفعل أبو بكر قلت لك فو الله ما رأيت رجلا اتقى منه. وأشد زهدا، فإنه متورع عن سفك الدماء ولا تسهل عليه الفتنة²⁶.

-مشهد يوسف بن تاشفين مع زوجه زينب النفزاوية يخططان كيفية التخلص من أبي بكر بن عمر العائد من الصحراء²⁷





-حوار في مشهد: اللقاء التاريخي الذي ردّ به يوسف بن تاشفين أبو بكر العائد من الصحراء²⁸

-يوسف: لا يحسن سياستها وإمارتها غيرك. -أبو بكر: وجزاك الله خيرا عما صنعتته في بلاد المغرب حتى أفاءها الله عليك وعلى المرابطين. -يوسف: ذلك من فضل الله يؤتيه من يشاء وما كنت لأبلغه لو أن من الله علي بمثل هؤلاء الرجال أبطال صناديد لا يخالفون علي وهم يد على من خالفنا. (الهدايا ستقدم لأبي بكر). (يفهم أبو بكر قصد يوسف) - (تظهر جماعة من الجنود من غير المثلثين).

-يوسف: قد جئتك بكل ما عندي من مال وثياب، وشيء من الإيدام والطعام لكي تستعين بها على الصحراء ويتقوى بها جندك. (أبو بكر يخطب في المرابطين) -أبو بكر: يا معشر المرابطين وشيوخهم. أني مخاطب أميركم ابن عمي يوسف بن تاشفين، فاسمعوا وعوا. يا يوسف أنت أخي وابن عمي ولم أرى ما يقوم بأمر المغرب غيرك، ولا أحق به منك، وأنا لا غناء لي على الصحراء وما جئت إلا لأسلم الأمر إليك، وأهنتك في بلادك وأعود إلى الصحراء مقر إخواننا ومحل سلطاننا، وقد خلعت نفسي لك، فاستمر في تدبير ملكك وأنت حقيق به وخليق له. -الجميع: الحمد لله. -يوسف: يا ابن العم، شكر الله لك، وجعل الخير كله في ركابك، والله ما عرفناك إلا صواما قواما تقيا خاشعا، وأدعوا الله تعالى أن يجزيك عنا وعن المسلمين خيرا، ولك علي ألا أقطع دونك أمرا، ولا أستأثر بشيء عليك ما وسعني الوصول إليك (يتعانقان)²⁹.

-مشاهد اللقاء التاريخي الذي تخلى فيه أبو بكر بن عمر ليوسف بن تاشفين عن حكم المغرب³⁰







-مشهد في حوار: يوسف بن تاشفين يحكي لزینب ما جرى بينه وبين أبي بكر، والتي تعترف بعشقها له³¹

-يوسف بن تاشفين: ما زال في نفسي بقية منها، هل خالطني من كلامك هوى، فالتمسست منه التأويل والتعليل. -زينب النفزاوية: ما فعلت إلا الخير فخفض على نفسك، وأشكر الله على ما هداك فهداه، واستقبل ولا تستدبر، كيف وجدته؟ لا أعني الذي وقع بينكما، فإن

حيي لك وغيرتي عليك لا يمنعان من السؤال عليه والاطمئنان عليه، فهو ابن عمك وأنا كنت في عصمته وما فارقتة عن بغض، وأن قلبي قد انصرف إليك. -يوسف: إنه بخير، كبير قليلا، ولكنه بخير وعافية³².

-مشهد يوسف بن تاشفين يحكي لزيب ما جرى بينه وبين أبي بكر، والتي تعترف بعشقها له³³



-المبحث الثاني: زينب بنت إسحاق النفزاوية قصة عشق لصوت نسائي ملك قلوب أمراء الدولة المرابطية وصنع مدينة مراكش في المصادر والدراسات التاريخية

لا يستقيم تفسير الظاهرة النسائية بالبيئة الأمازيغية، لأن كثيرا من مناطقها باستثناء صنهاجة الصحراء لم تتمتع فيها النساء بنفس القدر والمكانة؛ كما أن القول بالتأثير المسيحي قول مردود لا يعززه الواقع التاريخي، وحسبنا دليلا على ذلك أن المرأة في الغرب المسيحي لم يكن لها حق اختيار شريكها، وظلت هي نفسها مكبوتة الرغبات. "فعندما أرادت (أوراكا) Auraka ابنة الملك (فرننده) Fernando الزواج بالسيد، حال أبوها دون تحقيق رغبتها"³⁴. أما القول بالتأثير القبلي فهو تفسير يعزل الظاهرة عن بنائها التحتي، لأن المكانة الاقتصادية التي تمتعت بها بعض النساء سواء داخل القبائل الصنهاجية أو غيرها من المناطق³⁵، كانت ضمن إحدى المسائل التي أوردها ابن رشد، والتي تكشف عن نفوذ امرأتين أندلسيتين وتصرفهما بحرية في شؤونهما المالية. ولا غرو فإن إحداهما كانت زوجة الفقيه أبي عبد الملك الخولاني، بينما الثانية كانت زوجة أبي القاسم بن بدرون³⁶، وهما معا من طبقة الخاصة والوجهاء. نجد مصداقا لهذه الظنون، ما أورده الأعمى التطيلي³⁷ في إحدى قصائده التي تدل على أن نفوذ المرأة اعتمد مكانتها الاقتصادية وعطاءاتها.

انفردت المرأة في العائلات الوجيهة بمكانة رفيعة، واعتبرت ندا للرجل تقف معه على قدم المساواة، بل تفوقه أحيانا، وتجمع الثروات عن طريق الميراث³⁸ وتمتلك العبيد³⁹ وتخرج إلى ساحة الحرب⁴⁰. ومعلوم أن المرأة الصنهاجية شاركت في مجلس القبيلة إبان الطور الصحراوي، وحركت من خلف الستار أمهات الأمور السياسية في الطور المغربي، وساهمت في الحياة الاجتماعية مساهمة فعالة، وتعاظت الشعر وكل ألوان الثقافة دون أن يحرك الفقهاء ساكنها. ولم تهتم بالأعمال المنزلية، بل وكتلتها إلى الإماء والعبيد، بينما كرسست جل أعمالها خارج البيت، مما سمح لها بلعب أدوار طلائعية.

تمتعت المرأة المرابطية بدور سياسي بارز في الدولة، فقد تغنى بفضائلها الشعراء، فتمخض عن ذلك ما يعرف بـ "أدب المرأة"، وإذا كان هذا اللون الأدبي قد وجد في مراحل تاريخية أخرى، وفي الأندلس على الخصوص، فإنه لم يبرز بهذه الكمية التي جاءت انعكاسا أميناً لنفوذها الاجتماعي والمادي، وحسبنا أنها لم تقل شأننا عن الأمراء في رعاية الشعراء وإجزال العطايا لهم. أصبحت المرأة مقصدا لذوي الحاجات لشفاعتها؛ تحب المنح السنية، وتعفو على المسجونين. وترد المنكوبين إلى مناصبهم، ويذكر بهذا الخصوص أن الشاعر ابن خفاجة كتب إلى الأميرة مريم بنت أبي بكر بن تيفلويت قصيدة طويلة يتشفع بها إلى زوجها الأمير أبي الطاهر تميم، فنفذت عهده بأجمل وجوه البر والمكرمات⁴¹.

أصبحت في ميدان الأدب غير واحدة من النساء ممن يشار إليهن بـ "البنان"، وفي مقدمتهن الحرة حواء بنت تاشفين التي وصفها ابن عذاري⁴² بأنها شاعرة جلييلة ماهرة، كانت تحضر مجالس الأدب مع الشعراء، وتفوقهم بداهة وفطنة، وتحاضرهم في كل الأغراض الأدبية،



ونزهون الغرناطية بنت القلاعي التي عرفت بخفة روحها وحفظها الشعر وإحاطتها بالأمثال⁴³، مما جعل ابن سعيد يبدي إعجابه بمكانتها الأدبية⁴⁴، إلى جانب حفصة بنت الحاج الركوني التي لها على سائر بلاد الأندلس مزية، وكانت ترتجل الشعر⁴⁵. ففي ترجمة القاضي عبد الحق بن غالب لما عين في منصب القضاء بـ "ألمرية"، طلب منه الالتحاق بها، وأظهر وجد المفارقة أهله وعائلته، فارتجلت ابنته بيتا شعريا خفف من حدة آلامه. أما تقيمة بنت يوسف بن تاشفين، كانت إلى جانب فطنتها وأدبها ورجاحة عقلها إدارية بارعة، تقوم بحاسبة الكتاب، وتقرض الشعر⁴⁶؛ فضلا عن حواء وزينب بنتي الأمير إبراهيم بن تيفلويت⁴⁷، وورقاء بنت يبتان⁴⁸، ومهجة بنت عبد الرزاق⁴⁹، وحمة وأختها زينب⁵⁰، والشليبية⁵¹.

تمكنت المرأة من العائلات الوجيعة عموما بفضل إمكانياتها المادية والحرية التي توفرت لها؛ من لعب أدوار طلائعية في كل المجالات، مما جعلها تحظى بالتقدير والاحترام على صعيد المجتمع والأسرة، وهذا ما يفسر اعتزاز بعض الرجال من تلك العائلات ذاتها بالانتساب إلى أمهاتهم. ولم تفق المرأة الأندلسية عن نظيرتها المغربية جمالا، حتى أنها عرفت لدى العامة باسم: "الثريا" كناية عن جمالها وفنتها⁵². وتعتبر أزجال ابن قزمان⁵³ عن روعة جمال النساء القرطيبات اللاتي أثن إعجابه، ولم يخف ابن حمديس⁵⁴ الإعجاب نفسه كما يتجلى ذلك في قصائده الشعرية.

صحيح أن بعض النساء المرابطيات انجرفن في تيار الحضارة الأندلسية، لكن لا يجب الخلط بين هذا التيار، والحرية التي تمتعن بها، إذ أن هذه الحرية لم تكن مرادفا للميوعة الأخلاقية التي صورها ابن تومرت وداعيته البيدق، ومن هذا حذوها من مؤرخي الموحدين. لم تكن العفة المرأة المرابطية حتى في الظروف المناسبة، وحسبنا دليلا على ذلك ما تناقله المؤرخون عن تقيمة بنت يوسف بن تاشفين التي استدعت أحد كتابها لمحاسبته، فوقع بصره عليها فاندھش لجمالها، فلما فطفت به أبعدته بطريقة ذكية⁵⁵. شأنها شأن ورقا بنت يبتان، فرغم قولها الشعر صالحة حافظة للقرآن⁵⁶. أما زينب بنت تيفلويت فكانت من أهل الخير والتعاون والصدقات والنوازل⁵⁷.

إن رثاء بعض الشعراء⁵⁸ لإحدى النساء المرابطيات وذكر مكارمها، لخير دليل على بطلان ينهض الاتهامات التي وجهت للمرأة المرابطية. نستنتج من ذلك أن زينة المرأة لم تجرأ إلى الميوعة الأخلاقية، وإن كانت بعض الأوساط المتعدية لم تسلم من هذه الآفة⁵⁹.

كان الزعيم الديني لدولة المرابطين عبد الله بن ياسين لا يسمع بامرأة جميلة إلا خطبها⁶⁰، وهو نص يعكس في حد ذاته العلاقة بين الجاه السياسي، والعشق والزواج الذي من شأنه أن يكثر نسل العائلة، علما أن كثرة العدد في المجتمع القبلي كان عنوانا للتفوق والجاه، خاصة عند النخب السياسية. لعبت المرأة في عائلات الأعيان والوجهاء دورا قل نظيره سياسيا، إذ كان لها ضلع واسع في نشأة الدولة المرابطية، مصداق ذلك "الدور الخطير الذي قامت به زينب النفزاوية وهي بنت تاجر كبير من القيروان، وذات نشأة في جو متحضر⁶¹؛ إذ اكتسبت من الحنكة والدهاء ما جعلها تتفوق على الرجال، وتفرض شخصيتها ونفوذها في شؤون السياسة والحكم، وهو ما عبر عنه ابن خلكان بقوله: "وكانت من أحسن النساء، ولها الحكم في بلاده"⁶².

لم تستجب زينب النفزاوية لكثير من الأشياخ والأمراء، وتزوجت أربعة أزواج بمحض إرادتها، بل كانت تشترط أن يكون زوجها من يقدر على حكم المغرب برمته⁶³، مفضلة الجاه السياسي على العشق. كانت زينب النفزاوية قادرة على تحمل المسؤوليات، ورغم ما عرفت به من شخصية قوية ومهارة وذكاء، أعتبرها أبو بكر بن عمر غير قادرة على تحمل الظروف المناخية القاسية في الصحراء. فنصحها بالبقاء في المغرب الأقصى وعدم مرافقته⁶⁴. رغم أن زواج زينب النفزاوية بيوسف بن تاشفين جاء نتيجة حسابات سياسية في بداية الأمر، فإن توهج الحب بين الطرفين لم تحمده المشاغل السياسية حتى أن أحد المؤرخين⁶⁵ ذكر عن زينب أنها كانت أعشق ما لديه، علما أنها كانت قد مهدت له السلطة وأمدته بالأموال اللازمة لبناء دولته⁶⁶، وهو ما زاد من تمتين جدار العشق بينهما.

كان جمال التواصل القائم على حسن الآداب والسلوك عند المرأة، والحوار المهذب واللبق من بين المعايير التي تستقطب الرجال، ونسوق في هذا الصدد نموذج الحب المتوهج بين الأمير يوسف بن تاشفين وزوجته زينب النفزاوية، تلك المرأة اللببية التي كانت تشد أزر زوجها في لحظات



الشدة بحكمتها وحسن تواصلها معه، وقد سجل لنا ابن عذاري نص الحوار الذي جرى بين الزوجين عندما عاد ابن عمه أبو بكر بن عمر من الصحراء ليتسلم منه السلطة، وكان قد أنابه عنه في حكم المغرب في انتظار قضائه على تمرد قبلي اندلع بالسودان، وحدث آنذاك أن تزوج بزينب كما هو مجمع عليه في كل المصادر التاريخية.

فالحديث عن شخصية نسائية كبيرة من قامة زينب النفزاوية يقتضي استحضار السياق التاريخي الذي برزت فيه هذه الشخصية، فالمصادر التاريخية لم تذكر من سيرتها إلا ما ارتبط بأمرين كبيرين من أمراء الدولة المرابطية، وهما؛ أبو بكر بن عمر اللمتوني وابن عمه يوسف بن تاشفين. وذكرها في المصادر التاريخية أتى عرضاً فقط وليس قصداً، في إطار سعي الإخباريين لنقل خبر انتقال الحكم من الأمير أبو بكر بن عمر اللمتوني إلى ابن عمه يوسف بن تاشفين.

وفي حوار لمشهد درامي اعتمده المخرج حاتم علي في مسلسل ملوك الطوائف، أفشت زينب النفزاوية عن عشقها ليوسف بن تاشفين بعد أن سلم له أبو بكر بن عمر السلطة، إليكم الحوار:

-يوسف بن تاشفين: ما زال في نفسي بقية منها، هل خالطني من كلامك هوى، فالتمست منه التأويل والتعليل.

-زينب النفزاوية: ما فعلت إلا الخير فخفض على نفسك، وأشكر الله على ما هداك فهداه، واستقبل ولا تستدبر، كيف وجدته؟ لا أعني الذي وقع بينكما، فإن عشقي لك وغيرتي عليك لا يمنعان من السؤال عليه والاطمئنان عليه، فهو ابن عمك وأنا كنت في عصمته وما فارقته عن بغض، وأن قلبي قد انصرف إليك.

-يوسف بن تاشفين: إنه بخير، كبر قليلاً، ولكنه بخير وعافية⁶⁷.

إن تقلب حياة زينب الزوجية بين أزواج ينحدرون من أصول قبلية مختلفة، من العصبية الثلاث الكبرى التي تشكل القاعدة البشرية ببلاد المغرب (مصمودة - زناتة - صنهاجة) بالإضافة إلى نشأتها في بيت تجارة وحضارة؛ جعلها تراكم خبرة واسعة في التدبير السياسي، ومن المعرفة بشؤون المغرب السياسية والاجتماعية، ونضجت هذه الخبرة وأثمرت هذه التجارب، مع زوجها الأخيرين الصنهاجيين؛ أبو بكر بن عمر، ويوسف بن تاشفين، مما أهلها لتصير مستشارة خبيرة وآمنة لهما.

قصة وقوع يوسف بن تاشفين في عشق زينب، وتأسيس مراكز هدية انتقلها للعيش بها، أسالت لعاب صناع الدراما التلفزيونية وعلى رأسهم المخرج حاتم علي، حيث صور لنا نخط عيش السيدة الأولى لدولة المرابطين، وهو نخط لم يشهد تاريخ المغرب مثله، وتشهد معظم الروايات أنها كانت صاحبة فكرة تشييد مراكز عند بداية تأسيسها على يد أبي بكر، واستكمالها من طرف ابن تاشفين الذي يعد المؤسس الفعلي لها، وكانت النفزاوية وراء التحفيز لتكون عاصمة جديدة لدولة المرابطين.

فكيف لعبت زينب النفزاوية والتي كانت من عائلات الأعيان والوجهاء دوراً قل نظيره سياسياً؟ وكيف كان لها ضلع واسع في نشأة الدولة المرابطية؟ وكيف ساعدتها الحنكة والدهاء على أن تتفوق على الرجال وتفرض شخصيتها ونفوذها في شؤون السياسة والحكم؟ وكيف سلبت عقل الزعيم المرابطي يوسف ابن تاشفين؟

عبر المرابطون جبال الأطلس، وقصدوا بلاد "المصامدة"، وتوغلوا في جبال "درن"، وفتحوا "وردة" و"شفشاوة" و"نفيس"، وسائر بلاد منطقة "جدميوة"، وبايعتهم قبائل تلك الناحية⁶⁸. ثم ارتحلوا إلى مدينة "أغمات" وبها يومئذ أميرها لقوط بن يوسف بن علي المغراوي، فنزل عليها وحاصرها حصاراً شديداً، ولما رأى لقوط ما لا طاقة له به أسلمها، وفرّ عنها ليلاً هو وجميع حشمه إلى "تادلا" فاستجار "بني يفرن" ملوك سلا وتادلا. ودخل المرابطون مدينة "أغمات" سنة تسع وأربعين وأربعمئة، فأقام بها عبد الله بن ياسين نحو الشهرين ريثما استراح الجند، ثم خرج إلى "تادلا" ففتحها وقتل من وجد بها من؛ "بني يفرن" ملوكها، وظفر بلقوط المغراوي فقتله، وكان للقوط هذا امرأة اسمها زينب بنت



إسحاق النفزاوية. قال ابن خلدون: وكانت من إحدى نساء العالم المشهورات بالجمال والرياسة، وكانت قبل لقوط عند يوسف بن علي بن عبد الرحمن بن وطاس شيخ "وريكة". فلما قتل المرابطون لقوط بن يوسف المغراوي خلفه أبو بكر بن عمر على امرأته زينب بنت إسحاق المذكورة إلى أن كان من أمرها ما نذكره⁶⁹.

ونظرا لأهمية "أغمات" كمدينة متحضرة من جهة، ولقربها من الصحراء من جهة أخرى، فقد اختارها المرابطون عاصمة مؤقتة إلى أن يتم لهم بناء عاصمتهم الجديدة مراكش التي أسسها أميرهم أبو بكر بن عمر سنة 462هـ/1070م⁷⁰. وبعد أن نظم عبد الله بن ياسين شئون هذه المنطقة سار إلى "تامسنا" لمقاتلة قبائل "برغواطة"⁷¹.

لم يشير المخرج حاتم علي بتاتا إلى كون زينب في البداية كانت زوجة أحد الحكام الكبار بمنطقة "أغمات" التي حلت بها رفقة والدها الهارب من بطش "الفاطميين"، ألا هو يوسف بن علي بن عبد الرحمن بن وطاس شيخ "وريكة" و"هزرجة" في دولة "أمغارن" في بلاد المصامدة، فكان أول زواجها. ولما تغلب "بنو يفرن" عليهم، وملكوا "أغمات" تزوجها شيخهم لقوط بن يوسف المغراوي، وأشار أنه لما افتتح المرابطون بلاد "المصامدة" قتل زوجها، وتزوجها بعده أبو بكر بن عمر المرابطي بعدما استقر به المقام ب "أغمات"، لتتزوج ابن عمه فيما بعد السلطان يوسف بن تاشفين المؤسس الحقيقي لمدينة مراكش.

كان الأمير أبو بكر بن عمر اللمتوني قد تزوج زينب بنت إسحاق الهواري⁷²، رجل من التجار أصله من القيروان، وكانت بارعة الجمال والحسن، وكانت مع ذلك حازمة لبيبة ذات عقل رصين، ورأي متين، ومعروفة بإدارة الأمور، حتى كان يقال لها الساحرة. فأقام الأمير أبو بكر عندها ب "أغمات" نحو ثلاثة أشهر، ثم ورد عليه رسول من بلاد القبلة فأخبره باختلال أمر الصحراء، ووقع الخلاف بين أهلها⁷³. وكان الأمير أبو بكر رجلا صالحا، كثير الورع، فلم يستحل قتال المسلمين وسفك دماءهم⁷⁴.

عزم الأمير أبو بكر على السير إلى الصحراء ليصلح أحوالها ويقيم فيها، يجاهد الكفار من السودان، فلما قرر الخروج للصحراء طلق زوجته زينب، وقال لها عند فراقه: يا زينب إنك ذات حسن وجمال فائق، و إني سائر إلى الصحراء برسم الجهاد، لعلي أرزق الشهادة والفوز بالأجر الوافر، وأنت امرأة غليظة لا طاقة لك على بلاد الصحراء⁷⁵، في حين قدمتها لنا الدراما التلفزيونية متوسطة الحجم. " وحتى لا تشاطريني خشونة الحياة الصحراوية"⁷⁶، وأنا مطلقك. فإذا تمت عدتك فزوجي ابن عمي يوسف بن تاشفين⁷⁷، فهو خليفتي على بلاد المغرب⁷⁸.

هكذا ارتحل أبو بكر إلى الصحراء، واستعمل على المغرب ابن عمه يوسف بن تاشفين، ونزل له عن زوجه زينب بنت إسحاق ولحق بقومه. ورفع ما كان بينهم من خرق الفتنة، وفتح بابا من جهاد السودان، فاستولى على نحو تسعين رحلة من بلادهم⁷⁹. تذكر كتب التاريخ أن يوسف بن تاشفين تزوج زينب النفزاوية بعد تمام عدتها، وكانت زينب بنت إسحاق معرفة بإدارة الأمور، فكانت نعم الزوجة المعينة لزوجها في شهر شعبان المكرم من سنة ثلاث وستين بعد تمام عدتها، ودخل بها⁸⁰. وهو الأمر الذي أغفله المخرج حاتم علي فبدون أن تنتهي العدة تزوجها يوسف بن تاشفين.

تري ما سبب رجوع الأمير أبي بكر بن عمر إلى الصحراء؟

كان الأمير أبو بكر بن عمر رجلا سادجا خير الطباع مؤثرا لبلاده على بلاد المغرب غير ميال إلى الرفاهية، وكان ولاية المغرب من "زناتة" ضعفاء لم يقاوموا الملتمين، فأخذوا البلاد من أيديهم من باب "تلمسان" إلى ساحل "البحر المحيط". فلما حصلت البلاد لأبي بكر بن عمر سمع أن عجوزا في الصحراء ذهبت لها ناقة في غداة فبكت، وقالت: ضيعنا أبو بكر بن عمر بدخوله إلى بلاد المغرب، فحمله ذلك على أن استخلف على بلاد المغرب رجلا من أصحابه اسمه يوسف بن تاشفين، ورجع إلى بلاده الجنوبية، وكان سفر أبي بكر بن عمر إلى الصحراء في ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة، ولما وصل إليها أصلح شأنها، ورتب أحوالها، وجمع جيشا كثيفا، وغزا به بلاد السودان فاستولى



منها على نحو تسعين مرحلة⁸¹. حتى فتح بلادهم مسيرة ثلاثة أشهر⁸²، لا قصة العجوز، ولا إنجازات أبي بكر بن عمر في الصحراء لم نجد لها أثر في الدراما التلفزيونية.

ولى أبي بكر بن عمر المغرب مكانه يوسف بن تاشفين بن إبراهيم اللمتوني على صورة النيابة عنه⁸³. وفوض إليه أمره وأمره بالرجوع إلى قتال من به من "مغراوة" و"بني يفرن" وسائر "زناتة" و"البربر"، واتفق على تقديمه أشياخ المرابطين لما يعلمون من فضله ودينه وشجاعته ونجدته وعدله وورعه وسداد رأيه، ويتمن نقيته. عاد يوسف من سجلماسة بنصف جيش المرابطين بعد ارتحال أبي بكر بن عمر بالنصف الآخر، ولما انتهى يوسف بن تاشفين إلى ملوية، ميز جيوشه فوجدها أربعين ألفا من المرابطين فاختر منهم أربعة من القواد؛ وهم: سير بن أبي بكر اللمتوني، ومحمد بن تميم الكدالي، وعمر بن سليمان المسوفي، ومدر ك التلكاني، وعقد لكل قائد منهم على خمسة آلاف من قبيلته، وجعلهم مقدمة بين يديه لقتال من بالمغرب؛ "مغراوة" و"بني يفرن" وسائر قبائل البربر القائمين به⁸⁴.

هكذا خلس الأمر ليوسف بن تاشفين من بعد أبي بكر بن عمر⁸⁵. فأحسن السيرة في الرعية، ولم يأخذ منهم سوى الزكاة، فأقام بالصحراء مدة، وكان رجل دين خير حازم داهية، فاجتمعت طوائف المرابطين عليه، ولقبوه أمير المسلمين، وكانت الدولة في بلاد المغرب لـ "زناتة" الذين ثاروا في أيام الفتن، وهي دولة ردية مذمومة، سيئة السيرة، لا سياسة ولا ديانة. (وكان أمير المسلمين وطائفته على نهج السنة، واتباع الشريعة)، فاستغاث به أهل المغرب، فسار إليها وافتتحها حصنا حصنا، وبلدا بلدا بأيسر سعي، فأحبه الرعايا، وصلحت أحوالهم⁸⁶. وتبعه أهله قبيلة قبيلة، فقوم يقاتلونه ثم يظفر بهم، وقوم يفرون بين يديه، وقوم يلقون إليه السلم ويبدلون الطاعة حتى دوح بلاد المغرب، ثم سار حتى دخل مدينة "أغمات"⁸⁷.

ثم إنه قصد موضع مدينة مراكش، وهو قاع صفصف، لا عمارة فيه، وهو موضع متوسط في بلاد المغرب كالقيروان في إفريقية، ومراكش تحت جبال المصامدة الذين هم أشد أهل المغرب قوة، وأمنهم معقلا، فاخطت هناك مدينة مراكش ليقوى على قمع أهل تلك الجبال إن هموا بفتنة، واتخذها مقرا، فلم يتحرك أحد بفتنة، وملك البلاد المتصلة بالمجاز مثل سبتة، وطنجة، وسلا، وغيرها، وكثرت عساكره⁸⁸.

فيما يخص الدراما التلفزيونية اكتفى المخرج حاتم علي بإدراج مشاهد أبو بكر والمثلثون يخططون في بناء مدينة مراكش⁸⁹.

أقام يوسف بن تاشفين مدبرا للأمر قائما بالملك، واشتغل ببناء الحصن المسمى بحصن "قصر الحجر"، برحبة مراكش، وجعله تحت سور وأبواب، وحصنه. ولما كان في سنة أربع وستين وأربعمائة، قوي أمره، وعظمت شوكته، فاشتري جملة من عبيد السودان، وبعث إلى الأندلس، فاشتري منها جملة من العلوج، فأركبهم، وانتهى عنده منهم مائتان وخمسون فارسا، شراء بماله، ومن العبيد نحو ألفين، فأركبهم فرسانا، فغلظ حجابهم، وعظم ملكه، وافترض على اليهود في تلك السنة فريضة ثقيلة، اجتمع له منها جملة مال، استعان به على ما كان بسبيله⁹⁰.

كانت زينب الزاوية القائمة بملك يوسف بن تاشفين، والمديرة لأمره، والفاخرة بحسن سياستها أكثر بلاد المغرب إلى أن توفيت في سنة أربع ستين وأربع مائة⁹¹. وفشرت به وتمر بها، وأخبرته أنه يملك المغرب كله، فبسطت آماله وأصلحت أحواله وأعطته الأموال الغزيرة، فأركب الرجال الكثيرة، وجمع له القبائل أموالا عظيمة. جند الأجناد وأخذ في جمع الجيوش من البربر والاحتشاد بنفسه، ويتدبير وجه ينسب في كل يوم مع أميه، حتى سلك أهل المغرب في قانوني الضغط، فتأتي من ملكه ما لم يتأت. وفي سنة أربع وستين وأربع مائة تحرك الأمير يوف بن تاشفين بعسكر جرار إلى بلاد المغرب، ورجع إلى "وطاط" إلى "ملوية" إلى ناحية "جراوة"، ودوخ ما مرّ عليه من القبائل، ودخلت كلها في طاعته، هكذا ذكر ابن القطان في "النظم الجمال". وفي هذه السنة؛ صنع الأمير يوسف بن تاشفين دار السكة بمراكش، وضرب فيها السكة بدراهم مدورة؛ زنة الدرهم منها درهم وربعه، كله من حساب عشرين درهما للأوقية، وهو الدرهم الجوهري المعلوم في وقتنا هذا، وضرب الدينار الذهبي باسم الأمير أبي بكر بن عمر في هذا العام. وفيها: ارتدت قبائل في الجهة "سجلماسة" من "زناتة" وغيرهم، فجهر إليهم يوسف بن تاشفين عسكرا قوّد عليه محمد بن إبراهيم الأموي، فخرج في شهر ربيع الآخر، وغنم تلك القبائل، وقتل المرتدين ورجع بغنائم كثيرة. فدون



يوسف الدواوين، ورب الأجناد وطاعته البلاد، وكتب إلى بعض إخوانه في السر من أبي بكر بن عمر بهم على الوصول إليه، والقدوم عليه، ويعددهم بالخير الجزيل الخفيل، فوصل منهم جماعة كبيرة. وفي هذه السنة: ولد ليوسف بن تاشفين مولود ذكر سماه المعز بالله من زوجه زينب النفزاوية⁹².

وقبله؛ **قيم والفضل** فريتهم أفضل تربية، وعلمتهم السياسة والكياسة وتدريب أمور الرعية والأزمات، مما ساعدهم وقوى عودهم في تدبير شؤون العباد، خاصة الأمير **قيم** الذي تولى الملك خلافة لأبيه **يوسف بن تاشفين**. هؤلاء الذكور الثلاثة أغفل المخرج إدراجهم في مسلسل "ملوك الطوائف". كذلك تغاضى المخرج **حاتم علي** عن ذكر دار السكة بمراكش، وضرب الدراهم المدورة والدينار الذهبي باسم الأمير **أبي بكر بن عمر**، وارتداد بعض القبائل في القبلة في جهة "سجلماسة" من "زناتة" وغيرهم، وماهي العدد التي أعدها **يوسف بن تاشفين** والقادة العسكريون الذين قادوا هذه المعارك والغنائم التي غنمها من القبائل المرتدة، والدواوين التي دونها.

ترى ما سبب رجوع الأمير **أبي بكر بن عمر** من الصحراء إلى المغرب؟

لما سمع الأمير **أبو بكر** بضخامة ملك **يوسف بن تاشفين**، وما فتح الله عليه من بلاد المغرب أقبل إليه من الصحراء ليعزله ويولى غيره⁹³. أحس **يوسف بن تاشفين** بذلك⁹⁴ واستشار زوجه **زينب بنت إسحاق** التي اشترى بها سعادته واستقامت بأمرها أموره⁹⁵. فقالت له إن ابن عمك متورع عن سفك الدماء فإذا لقيته فاترك ما كان يعهده منك من الأدب والتواضع معه، وأظهر أثر الترفع والاستبداد حتى كأنك مساو له، ثم لاطفه مع ذلك بالهدايا من الأموال والخلع وسائر طرف المغرب، واستكثر من ذلك فإنه بأرض صحراء كل ما جلب إليه من هنا فهو مستطرف لديه⁹⁶.

ما سبب حزن **يوسف بن تاشفين** بعد سماع خبر عودة ابن عمه **أبو بكر بن عمر** من الصحراء، وما هو الموقف البطولي الذي ستلعبه **زينب النفزاوية** الزوجة والعشيقة في أكبر وأضخم خطة سلمية لتسليم السلط خلال العصر الوسيط بدون إراقة الدماء، ولا تصدع ولا فتنة ولا حرب، جرت بين أميرين مرابطين على قيد الحياة، قوين وصاعدين؟

بعدما لاحظت **زينب** ما اعترى زوجها من حزن بعد سماع خبر عودة ابن عمه **أبو بكر بن عمر**، ومطالبته بتسليم السلطة له، خاطبته بقولها: "أراك مهموما مكروبا من وصول ابن عمك إلى ملكه الذي ولاك عليه، والله لا ذاق **أبو بكر** طعمها أبدا، فطب نفسا وقر عينا. أجبها **يوسف بن تاشفين** إن استخلافه إلي من بين كل بنيه، ويثق علي في هذه المملكة، ولو كان غير ابن عمي لقاتلته. ردت عليه **زينب** "أنا أدلك والله". استغرب **يوسف** من قولها وخاطبها: "ما ذلك يا **زينب**؟ والله أعرفك ميمونة" أجابته: "إذا قدم عليك وبعث مقدمات رجاله إليك فلا تخرج إليه، ولكن بادره بجديفة جليفة، وتفوز بملكك إن شاء الله". وافقها **يوسف** الرأي وقال: "والله لا خالفت في أمر تشيرين به أبدا"⁹⁷.

حافظ المخرج **حاتم علي** في مسلسل "ملوك الطوائف" على سيناريو لقاء **أبي بكر بن عمر** من أراضي المغرب، وخروج **يوسف بن تاشفين** لاستقباله على بعد في لقاء مقتضب. لكنه لم يحافظ على ما أثار دهشة هذا الأخير الذي سأل عن سبب هذا التجمع العسكري الكبير، والعدد المهول من الإبل الذي وصل عددها ألف بعير موقرة؛ عكس الدراما التلفزيونية شاهدنا مجموعة قليلة من الجنود، وعشرات من الإبل الموقرة المحملة.

لما قرب **أبو بكر بن عمر** من أعمال المغرب خرج إليه **يوسف بن تاشفين** فلقبه على بعد، وسلم عليه وهو راكب سلاما مختصرا، ولم ينزل له، ولا تأدب معه الأدب المعتاد، فنظر **أبو بكر** إلى كثرة جيوشه فقال له يا **يوسف** ما تصنع بهذه الجيوش؟ قال أستعين بها على من خالفني، فارتاب **أبو بكر** به، ثم نظر إلى ألف بعير، قد أقبلت موقرة. فقال: ما هذه الإبل الموقرة أيها الأمير؟ فرد عليه: إني قد جئت بك كل ما معي من مال وأثاث وطعام وإدام لتستعين به على بلاد الصحراء. فزاد **أبو بكر** تعرفا من حاله، وعلم أنه لا يتخلى له عن الأمر، فقال له: يا



ابن عمي أنزل أوصيك، فنزلا معا، وجلسا. فقال أبو بكر: إني قد وليتك هذا الأمر، وإني مسؤول عنه، فاتق الله تعالى في المسلمين، وأعتقني وأعتق نفسك من النار، ولا تضع من أمور رعيتك شيئا، فإنك مسؤول عنه، والله تعالى يصلحك ويمدك ويوقفك للعمل الصالح والعدل في رعيتك، وهو خليفتي عليك وعليهم، ثم ودعه وانصرف⁹⁸. ثم ولى إلى الصحراء، فكان آخر العهدية، وقتل شهيدا في بعض حروب السودان بسهم مسموم في شعبان سنة ثمانين وأربعمائة⁹⁹ بعد أن استقام له أمر الصحراء كافة إلى جبال الذهب من بلاد السودان، والله غالب على أمره¹⁰⁰.

ما سمح لزينب النفزاوية بالظهور على مسرح الأحداث وقت عملية انتقال الحكم في تاريخ أكبر وأهم دولة أقيمت بالغرب الإسلامي، عملية سلمية فريدة في تاريخ المغرب خلال العصر الوسيط، جرت بين أميرين مرابطين، كانت خطة محكمة إن لم نقل في تاريخ كل السلالات الحاكمة بالغرب الإسلامي. فكان من المؤلف والمعتاد في تاريخ السلالات الحاكمة بالمغرب؛ هو انتقال الحكم بعد وفاة أمير أو ملك أو سلطان إلى ابنه أو أخيه، والذي كثيرا ما تترتب عنه تصدعات وفتن وحروب على الحكم. في حين، قدمت لنا الدراما التلفزيونية والمصادر والدراسات التاريخية انتقال الحكم من أمير حي وقوي؛ أبي بكر بن عمر إلى ابن عمه يوسف بن تاشفين كأمر قوي كذلك وصاعد. تأثيث ومشورة وتخطيط زينب النفزاوية لهذا الانتقال السلس للسلطة، كشف عن دور المرأة المغربية الكبير في المشهد السياسي منذ ذلك الفترة، وعشقها لزوجها، وامتنال زوجها لخطتها السديدة، ونصحها.

فماذا عن قصة الثلاثة وحديثهم عن زوج الأمير يوسف بن تاشفين (زينب) التي لم يذكرها المخرج حاتم علي في مسلسل "ملوط الطوائف" كذلك؟

ومما يستطاب من حديثنا ما حكاه ابن الأثير في "كامله" وقد تكلم على يوسف بن تاشفين هذا؛ فقال: كان حسن السيرة خيرا عادلا يميل إلى أهل العلم والدين، يكرمهم ويحكمهم في بلاده ويصدر عن رأيهم، وكان يحب العفو والصفح عن الذنوب العظام؛ من ذلك أن ثلاثة نفر اجتمعوا فتمنى أحدهم ألف دينار يتجر بها، وتمنى الآخر عملا يعمل فيه لأمر المسلمين، وتمنى الآخر زوجته، وكانت من أحسن النساء، ولها الحكم في بلاده. فبلغه الخبر فأحضرهم، وأعطى متمني المال ألف دينار، واستعمل الآخر، وقال للذي تمنى زوجته يا جاهل ما حملك على هذا الذي لا تصل إليه، ثم أرسله إلى زوجته فتركته في خيمة ثلاثة أيام، ثم أمرت بأن يحمل إليه في كل يوم طعام واحد، ثم أحضرته، وقالت له ما أكلت في هذه الثلاثة الأيام؟ قال: طعاما واحدا، فقالت له: كل النساء شيء واحد، وأمرت له بمال وكسوة وسرحته إلى حال سبيله¹⁰¹.

بهذا الموقف البطولي أصبحت زينب النفزاوية "أعشق ما لذا يوسف بن تاشفين"¹⁰²، وظفرت بقلبه، والواقع أنها تعد المرأة النموذجية التي كان بالإمكان أن تستقطب عشق أي رجل؛ لأنها جمعت بين جميع أجناس الجمال، فاشتملت على الفطنة والعقل والذكاء ولباقة التصرف، إلى جانب الثراء والزعامة السياسية، لذلك وصفها ابن خلدون بأنها "كانت مشهورة بالجمال والرياسة"¹⁰³. تلك إذن بعض المواصفات الجمالية التي كانت تفرز عشق الرجل للمرأة في المجتمع المغربي، وقد تراوحت بين الجمال الروحي والفيزيولوجي وجمال التواصل.

لعبت زينب دور المستشار ليوسف بن تاشفين الذي امتثل لنصائحها¹⁰⁴، وكلما عنت له مشكلة أو اعتورته صعوبة لجأ إليها لتقدم له الحلول الناجعة¹⁰⁵، بل إليها يرجع الفضل في تدبير فتح المغرب، فقد أثر عن زوجها أنه "كان يقول ليني عمه إذا خلا بهم وورد ذكرها، إنما فتح البلاد برأيها"¹⁰⁶. فاستقامت له الدولة وترسخت جذورها بفضلها وحنكته وذكائها¹⁰⁷، حتى أن دورها بات يشبه بما قامت به كل من؛ خديجة وعائشة زوجتي الرسول (ص) في التمكين للدعوة الإسلامية.



-على سبيل الختم:

سعى هذا المقال البحث عن قصة العشق وأدبه، كنوع أدبي له بدايته واستمراريته؛ ومن خلال التعرض لفكرة وسلوك زوجين، وفق تراتب تاريخي لقيام دولة المرابطين؛ فالجدور منذ العصور الإسلامية الأولى، وتمتد بعد ذلك وصولاً إلى قرون متأخرة؛ وفق ما تناوله الباحثون والمستشرقون حول نظرية وأدب العشق الذي هو جدير بالبحث، ومن هنا تأتي أهميته وضرورة ارتباطه المتلازمة لا يعرف الواحد إلا بالآخر، كتلازم الجسد للروح بمعية ومصافاة وشعور وحدوي. إمطة اللثام عن مواصفات وقيمات في أدب الحب والعشق، تحتاج إلى إبانة من خلال التعرض لهذا الوجدان وتوضيح تطوره الزمني واتجاهاته، وتبيان اهتمام الأوائل من الأدباء فيه بشكل يثير الاهتمام وجادة البحث؛ لاستكناه أدب العشق الدنيوي خاصة، والنظرية التي تبلورت حوله في استغرافية العصر الوسيط بالمغرب الأقصى عامة.

من المتعارف عليه أن العشق رمز رومانسي، ودليل على بداية انجذابات عاطفية، بيد أنه في مجتمع محافظ كالمجتمع المغربي خلال العصر الوسيط، لم تكن فكرة التعارف السابق على الزواج مقبولة، إن لم تكن مرفوضة بالمرة. وللأسف فإن اضمحلال شعر الغزل في العصر المرابطي والموحدي الذي يتوافق مع مرحلة موضوع المؤلف، لا يسمح برصد ما إذا كان الارتباط الأولي يتم عن طريق العشق، وما هي تعبيراته؛ وحتى إن افترضنا وجوده، فقد ظل في معظم الحالات مستترا بسبب؛ عاملين: القيود الاجتماعية، والدين، ولم تستطع المرأة أن تجهر بعشقها أو تتصرف بمقتضاه خوفاً من أعين الرقباء.

بهذا تبقى فاتنة "أغمات" واحدة من أشهر وأجمل نساء عصرها، تمكنت برجاجة عقلها وذكائها الخارق وحنكها وتبصرها من المساهمة في بناء حضارة مراكش وإمبراطورية المرابطين، وهي لا تزال شاهقة حتى اليوم في بوابة الصحراء مراكش الحمراء، أو مدينة النخيل كما تملو لي تسميتها، وأنا أخترق شوارعها ودروبها منذ أوائل تسعينات القرن الماضي.

الهوامش:

- 1- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 9، إنتاج: 2005، التوقيت: 4:05.
- 2- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 9، إنتاج: 2005، التوقيت: 5:30.
- 3- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد داخلية وخارجية، الحلقة 9، إنتاج: 2005، التوقيت: 4:08 - 4:16 - 5:38.
- 4- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد خارجي، الحلقة 9، إنتاج: 2005، التوقيت: 11:57.
- 5- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد خارجي، الحلقة 9، إنتاج: 2005، التوقيت: 18:16.
- 6- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد خارجية، الحلقة 9، إنتاج: 2005، التوقيت: 12:01 - 12:12 - 12:26 - 12:40 - 12:57 - 13:19 - 13:38 - 13:47 - 13:52 - 16:47 - 17:09 - 17:30 - 17:54 - 18:02.
- 7- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد خارجي، الحلقة 10، إنتاج: 2005، التوقيت: 20:40.
- 8- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد خارجي، الحلقة 10، إنتاج: 2005، التوقيت: 21:21.
- 9- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد خارجية، الحلقة 10، إنتاج: 2005، التوقيت: 20:40 - 20:59.
- 10- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد خارجي، الحلقة 10، إنتاج: 2005، التوقيت: 21:27.
- 11- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد خارجي، الحلقة 10، إنتاج: 2005، التوقيت: 21:35.
- 12- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد خارجية، الحلقة 10، إنتاج: 2005، التوقيت: 21:28 - 21:36.
- 13- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 10، إنتاج: 2005، التوقيت: 25:44.
- 14- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 10، إنتاج: 2005، التوقيت: 26:26.
- 15- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد داخلية، الحلقة 10، إنتاج: 2005، التوقيت: 25:44 - 25:50.



- 16- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 10، إنتاج: 2005، التوقيت: 26:33.
- 17- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 10، إنتاج: 2005، التوقيت: 30:35.
- 18- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 10، إنتاج: 2005، التوقيت: 26:33.
- 19- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 11، إنتاج: 2005، التوقيت: 3:53.
- 20- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 11، إنتاج: 2005، التوقيت: 4:50.
- 21- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد داخلية، الحلقة 11، إنتاج: 2005، التوقيت: 3:53-4:02.
- 22- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 11، إنتاج: 2005، التوقيت: 5:33.
- 23- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 11، إنتاج: 2005، التوقيت: 5:33.
- 24- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد داخلية، الحلقة 11، إنتاج: 2005، التوقيت: 5:20-5:24.
- 25- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 16، إنتاج: 2005، التوقيت: 31:40.
- 26- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 16، إنتاج: 2005، التوقيت: 41:25.
- 27- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد خارجية وداخلية، الحلقة 16، إنتاج: 2005، التوقيت: 31:12-31:47.
- 34:11-34:31.
- 28- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد خارجي، الحلقة 17، إنتاج: 2005، التوقيت: 0:36.
- 29- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد خارجي، الحلقة 17، إنتاج: 2005، التوقيت: 3:51.
- 30- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد خارجية، الحلقة 17، إنتاج: 2005، التوقيت: 0:22-0:24-0:33-0:44.
- 1:57-2:27-3:00-3:04-3:50.
- 31- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد خارجي، الحلقة 17، إنتاج: 2005، التوقيت: 4:02.
- 32- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 17، إنتاج: 2005، التوقيت: 5:17.
- 33- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد خارجي، الحلقة 17، إنتاج: 2005، التوقيت: 4:05.
- 34- سيمون حايك، **الأندلس على عهد ملوك الطوائف وقدم المرابطين إليها**، (لبنان: مطابع الكرم جونية، 1974م)، 42. إحسان عباس، "نوازل ابن رشد"، **مجلة الأبحاث**، ج 3، 4، بيروت، (1969م)، 13-14.
- 35- إحسان عباس، "نوازل ابن رشد"، 13-14.
- 36- نفسه، 14.
- 37- يفهم ذلك من هذين البيتين اللذين مدح فيهما التطيلي الحرة حواء بنت تاشفين بقوله:
أنثى سما باسمها كم ذكر يدعى اسمه من لؤمه لقب
- وقلما نقص التأنيث صاحبه إذا تذكرت الأفعال والنصب، أحمد بن عبد الله الأعمى التطيلي، **ديوان الأعمى التطيلي**، تحقيق: محمد الدين ديب، (لبنان: المؤسسة الحديثة للكتاب، 2014م)، 17.
- 38- إحسان عباس، "نوازل ابن رشد"، 217-218.
- 39- نفسه، 52.
- 40- أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيدق، **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، (الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1971م)، 64.
- 41- أحمد عبد القادر صلاحية، **ابن خفاجة الأندلسي حياته وروائع أدبه**، (حلب: شرع للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1، 2014م)، 89.
- 42- ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج 4، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، (بيروت: دار الثقافة، ط 3، 1983م)، 57.
- 43- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، **نزهة المجالس من أشعار النساء**، اعتنى به: عبد اللطيف عاشور، القاهرة: مكتبة القرآن، د.ت)، 98.
- 44- علي بن موسى بن سعيد الأندلسي أبو الحسن، **رايات المبرزين وغايات المميزين**، تحقيق: نعمان عبد المتعال القاضي، (دمشق: طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط 1، 1987م)، 60. محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، **الغرناطي الأندلسي**، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج 1، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1442هـ)، 491. شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، ج 4، (بيروت: دار صادر، ط 1، 1997م)، 141.



- 45- ومن النساء اللواتي نبغن في هذه المدينة العامرة السيدة حفصة بنت الحاج "الركونية" وهي بلدة أندلسية قديمة تقع غربي ثغر بلنسية الشاعرة الأديبة، وهي من شواعر وأديبات غرناطة كانت ذات جمال وحسب وثناء وبديهة وسرعة خاطر قال ابن دحية: من أشرف غرناطة رخيمة الشعر رقيقة النظم والنثر. عمر رضا كحالة، **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، ج 1، (القاهرة: مؤسسة الرسالة، د.ت)، 267. "وهي من ساكن غرناطة. شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق: إحسان عباس، ج 1، (بيروت: دار صادر، ط 1، 1997م)، 144. تربت هذه السيدة في بيئة أدبية شعرية، تحب الشعر كثيرا، وتشد أشعارا تنبض بجرارة العاطفة وصدق الشوق، وتعد إحدى شواعر النساء الأندلسيات الشهيرات في القرن السادس عشر الهجري، بل هي شاعرة غرناطة في وقتها على الإطلاق حباها الله مالا وجمالا، وشرفا ومكانة. شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق: إحسان عباس، ج 5، (بيروت: دار صادر، ط 1، 1997م)، 310. ومن بدائع نظمها ما ذكره لسان الدين بن الخطيب عن الوزير محمد بن عمر الهمداني؛ حين قال: رغبت أختي إلى حفصة أن تكتب شيئا بخطها فكتبت:
- يا ربة الحسن بل يا ربة الكرم غض جفونك عما خطه القلم
تصفحيه بلحظ الود منعمة لا تحفلي بقبيح الخط والكلم. لسان الدين بن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ج 1، (القاهرة: مكتبة الخانجي ط 2، 1973م)، 491.
- ونقل عن ابن سعيد المغربي في كتابه "المغرب في حلى المغرب" أنها دخلت على عبد المؤمن وأنشدته، وقد استنشدتها من شعر:
- أمن علي بطرس يكون في الدهر عدة
تحظ بمنك فيه الحمد لله وحده. ابن سعيد المغربي، **المغرب في حلى المغرب**، تحقيق: شوقي ضيف، ج 2، (القاهرة: دار المعارف، ط 3، 1855م)، 139-138. زينب بنت علي بن حسين بن عبيد الله بن حسن بن إبراهيم بن محمد بن يوسف فواز العاملي، **الذر المنثور، في طبقات ربات الخدور**، (مصر: المطبعة الكبرى الأميرية، ط 1، 1312هـ)، 165-166.
- ومن بدائع صنعها في نظم الشعر قولها في السيد أبي سعيد ملك غرناطة تهنئة بيوم العيد:
- يا ذا العلا وابن الخليفة والإمام المرتضى
يهنيك عيد قد جرى فيه بما تحوى القضا
وأذاك من تهواه في قيد الإنابة والرضا
ليعيد من لذاته ما قد تصرف وانقضى . عمر رضا كحالة، **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، ج 1، 270.
- ومن شعرها كذلك قولها:
- سلام يفتح في زهره الكمام وينطق ورق الغصون
على نار قد ثوى في الحشا وإن كان تحرم منه الجفون
فلا تحسبوا العبد ينساكم فذلك والله ما لا يكون. عمر رضا كحالة، **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، ج 1، 269.
- 46- أحمد ابن قاضي المكناسي، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس**، ج 1، (الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1973-1974م)، 174-173.
- 47- أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحقيق: إحسان عباس، محمد بن شريفة، بشار عواد معروف، ج 2، (تونس: دار الغرب الإسلامي، ط 1، 2012م)، 489.
- 48- أحمد ابن قاضي المكناسي، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس**، ج 8، (الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1973-1974م)، 533. أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحقيق: إحسان عباس، محمد بن شريفة، بشار عواد معروف، ج 8، (تونس: دار الغرب الإسلامي، ط 1، 2012م)، 493.
- 49- نفسه، 492.
- 50- محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، **الغرناطي الأندلسي**، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج 1، 490-489.
- 51- شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، ج 4، (بيروت: دار صادر، ط 1، 1997م)، 294.
- 52- عبد العزيز الأهواني، **ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة**، (القاهرة: مطبعة مصر، 1957م)، 151.
- 53- انظر ديوانه: 336 زجل 50 ويقول فيه:



من رأي مليح بحال الهلال

كتفاح بعيني من تحت الدلال

حواء السمر واملح من غزال

ويقول في زجل 87

شط بيضمثل القطون

عين كحل وحاجب مقرون

54- انظر ديوانه، 322.

55- أحمد ابن قاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، ج 1، 173-174.

56- أحمد ابن قاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، ج 2، (الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1973-1974م)، 533.

57- أحمد ابن قاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، ج 8، 498.

58- أحمد بن عبد الله الأعمى التطيلي، ديوان الأعمى التطيلي، 69.

59- انظر النازلة التي وردت على ابن رشد حول امرأة من ألمرية حملت من زني مرتين وقتلت ما ولدت: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج 1، (القاهرة: دار الحديث، 2004)، 884.

60- ابن أبي زرع، روض القرطاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، (الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1973م)، 132.

61- أبو القاسم بن أحمد بن علي بن إبراهيم الزياتي، الترجمة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تحقيق: عبد الكريم الفيلاي، (الرباط: دار نشر المعرفة، ط 2، 1991م)، 275.

62- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ج 7 (بيروت: دار صادر، ط 1، 1994م)، 125- ليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة: محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، راجعه: لطفي عبد البديع، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1990م)، 252.

-Dozy, Reinhart Pieter Anne, Histoire de l'Islamisme, Traduite par: Victor Chauvin, Éditeur: Kessinger Publishing, E.J. Brill, Maison Neuve; Paris, 1879, P. P. 362-366.

63- ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 4، 18.

64- ابن أبي زرع، روض القرطاس، 134. ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 4، 21.

65- ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 4، 30.

66- نفسه، 22.

67- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 17، إنتاج: 2005، التوقيت: 17: 5.

68- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس - العصر الثاني دول الطوائف - منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ج 2، (مصر: مكتبة الخانجي، ط 4، 1997م)، 305-306.

69- شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج 2، (الدار البيضاء: دار الكتاب، د.ت)، 15.

70- أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، د. ت)، 294.

71- دولة الإسلام، ج 2، ص 305-306.

72- زينب بنت إسحاق النفزاوية، وكانت بارعة الجمال والحسن كما قلنا، وكانت مع ذلك حازمة لبيبة ذات عقل رصين ورأي متين ومعرفة بإدارة الأمور، حتى كان يقال لها الساحرة. محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس - العصر الثاني دول الطوائف - منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ج 2، 306. شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 2، 20. زينب بنت إسحاق النفزاوية: من شهرات النساء في المغرب. قال ابن خلدون: كانت إحدى نساء العالم المشهورات بالجمال والرياسة. وهي من قبيلة نفزة، من بربر طرابلس الغرب. تزوجت وانتقلت إلى أغمت، وطلقت، فتزوجها يوسف بن تاشفين اللمتوني سنة 454 هـ قال صاحب الاستقصا: فكانت عنوان سعده، والقائمة بملكه، والمديرة لأمره، والفاخرة عليه



- بحسن سياستها لأكثر بلاد المغرب. ونقل عن ابن الأثير في الكامل: كانت من أحسن النساء ولها الحكم في بلاد زوجها ابن تاشفين. وأورد بعض أخبارها. خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الأعلام، ج 2، (بيروت: دار العلم للملايين، 2002م)، 66.
- 73- شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 2، 20.
- 74- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، (الرباط: دار المنصور 1972م)، 86.
- 75- نفسه، 86-87.
- [تحدث صاحب الأنيس المطرب ابن أبي زرع الفاسي عن حدود المملكة المرابطية فلاحظ ان يوسف بن تاشفين خطب له على 1900 منبر وان ملكه امتد من أقصى شرق الأندلس إلى أشبونة، ومن جزائر بني فراغة إلى طنجة إلى آخر السوس الأقصى إلى جبل الذهب من بلاد السودان]
- 76- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس - العصر الثاني دول الطوائف - منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ج 2، 309-310.
- 77- يوسف بن تاشفين بن إبراهيم، المصالي الصنهاجي للمتوني الحميري، أبو يعقوب، (410 - 500 هـ / 1019 - 1106 م) أمير المسلمين، وملك المثلثين: سلطان المغرب الأقصى، وباني مدينة مراكش، وأول من دعي بأمير المسلمين. ولد في صحراء المغرب. وولاه ابن عمه أبو بكر بن عمر المتوني إمارة البربر، وباعه أشياخ المرابطين. وجال جولة في المغرب بجيش كبير، فقوي أمره، واستولى على مدينة فاس، وغزا الأندلس فصالحه ملوكها على الطاعة له. واستخلفه أبو بكر بن عمر على المغرب سنة 463 هـ فاستقل به. وبني مدينة مراكش سنة 465 هـ وكتب إليه المعتمد ابن عباد سنة 475 من إشبيلية، يستنجد على قتال الفرنج، فزحف بجموعه، فكانت وقعة " الزلاقة " المشهورة التي انكسر فيها جيش الفرنج الزاحف من طليطلة، كسرة شديدة سنة 479 هـ وباعه بعد انتهاء الوقعة، من شهدائها معه من ملوك الأندلس وأمرائها، وكانوا ثلاثة عشر ملكا، فسلموا عليه بأمير المسلمين، وكان يدعى بالأمير. وضرب السكة من يومئذ وجدها، ونقش دينار " لا إله إلا الله محمد رسول الله " وتحت ذلك " أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين " وكتب في الدائرة: " من يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين " وكتب في الصفحة الأخرى: " الأمير عبد الله أمير المؤمنين العباسي " وفي الدائرة تاريخ ضرب الدينار وموضع سكة. وعاد إلى مراكش، وهو على اتصال بإشبيلية وغيرها. ثم لم يلبث أن سير الجيوش إلى الأندلس. ودخل غرناطة في السنة نفسها وفيها آخر الصنهاجيين " عبد الله بن بلكين " فامتلكها وأخذ ابن بلكين معه إلى مراكش. واستولى قائد جيشه " سير بن أبي بكر " على مرسية وشاطبة ودانية ثم بلنسية وإشبيلية وبطليوس، فتم له ملك الجزيرة كلها، وشمل سلطانه المغرب الأقصى والأوسط وجزيرة الأندلس. وتوفي بمراكش. وكان حازما، ضابطا لمصالح مملكته، ماضي العزيمة، معتدل القامة، أسمر اللون، نحيف الجسم، خفيف العارضين، دقيق الصوت، يخطب لبني العباس. خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الأعلام، ج 8، (بيروت: دار العلم للملايين، 2002م)، 222.
- أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ج 8، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط 1، 1997م)، 137. شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 2، 21-22-23. عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، محيي الدين، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تحقيق: صلاح الدين الهواري، (صيدا- بيروت: المكتبة العصرية، ط 1، 2006م)، 13.
- 78- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، 86-87.
- [تحدث صاحب الأنيس المطرب ابن أبي زرع الفاسي عن حدود المملكة المرابطية فلاحظ ان يوسف بن تاشفين خطب له على 1900 منبر وان ملكه امتد من أقصى شرق الأندلس إلى أشبونة، ومن جزائر بني فراغة إلى طنجة إلى آخر السوس الأقصى إلى جبل الذهب من بلاد السودان]
- 79- عبد الرحمن ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة: سهيل زكار، ج 6، (بيروت: دار الفكر، ط 1، 1981م)، 245.
- 80- ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي برونسفال، ج 2، (بيروت: دار الثقافة، ط 3، 1983م)، 18-19.
- 81- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، 86-87. شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 2، 20-21.
- 82- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، 86-87.
- 83- مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، (الدار البيضاء: دار الرشد الحديثة، ط 1، 1979م)، 24-25.
- عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، نشر وتحقيق: رسائل أبي بكر بن العربي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1988م)، 101.
- 84- شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 2، 22-23.
- 85- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، 86-87.
- 86- الكامل في التاريخ، ج 8، ص 137.



- 87- شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 2، 22-23.
- 88- ابن الأثير؛ المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، الكامل في التاريخ، ج 8، 137.
- 89- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد خارجية، الحلقة 10، إنتاج: 2005، التوقيت: 20:40-20:59.
- 90- مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، 24-25.
- 91- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، 86-87.
- 92- ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 2، 18-19.
- 93- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، 86-87.
- 94- نفسه، 86-87.
- 95- محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام، ج 2، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1423 هـ)، 387-388.
- 96- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، 86-87. شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 2، 21-22.
- 97- ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 4، 23-24.
- 98- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، 86-87. شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 2، 21-22.
- 99- محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام، ج 2، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1423 هـ)، 387-388.
- 100- شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 2، 21-22- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، 86-87.
- 101- شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 2، 23-24.
- 102- نفسه، 30.
- 103- عبد الرحمن ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة: سهيل زكار، ج 6، 244.
- 104- *Jacinto BOSCH VILÁ, Los Almorávides*, Editorial Universidad de Granada, Espagne, ISBN-10, 1 mai 1998, P.97.
- 105- أبو فارس عبد العزيز المزوري المكناسي، نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك، تقديم: عبد الوهاب بن منصور، (الرباط: المطبعة الملكية 1963م)، 49.
- ويقول في أرجوزته:
- فكلما جرت عليه شدة وجدها لكشفها معدة
- 106- ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 4، 30.
- 107- محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام، ج 2، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1423 هـ)، 222.